

في التنمية الأسرية



ح حسن موسى الصفار، ١٤٣٢ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصفار، حسن موسى
في التنمية الأسرية على ضوء مذهب الشيعة الإمامية / حسن موسى الصفار
- القطيف، ١٤٣٢ هـ

٦٦ ص؛ ٢١,٥ × ١٤,٥ سم

ردمك: ٦-٩٠٠٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الأسرة ٢- المشاكل الاجتماعية ٣- الإمامية (فرقة شيعية) أ.العنوان

ديوي ٤٢, ٣٠١ ٤٧١/٤٣٣

رقم الإيداع: ٤٧١/٤٣٢

ردمك: ٦-٩٠٠٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

مُحْفَوظَةٌ
بِمَبْنَى حَقِّقُونَ

الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م



أطراف للنشر والتوزيع

هاتف / فاكس : ٨٥٤٩٥٤٥ (٣) ٩٦٦ +

جـوال : ٥٠٥٨٦٨٧٧١ - ٩٦٦ +

القطيف - شارع القدس

ص.ب ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١

المملكة العربية السعودية

E-mail : atyaf-pd@hotmail.com

حسن بن موسى الصفار

في التنمية الأسرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين. اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما
صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما
باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

مقدمة

الأسرة هي محضن تربية الإنسان وتنشئته، وهي النبع الذي يغذي مشاعره وعواطفه، وعبر الأسرة يتعلم لغة النطق ولغة الحياة، حيث يكتسب عادات السلوك وأساليب التعامل.

وتبقى الأسرة خيمة يتفياً الإنسان ظلها طوال حياته، حين يكون طفلاً، ويوم يغدو شاباً، وإذا ما غزاه الشيب والكبر، ولا يستغني عن عطائها مهما حقق من تقدم ذاتي ومكانة شخصية.

لأن عطاء الأسرة يرتبط بكيانه الروحي، وبعمق وجوده العاطفي، فهي الملجأ والملاذ له في وجه الأعاصير والأزمات.

إن العيش في ظل أسرة صالحة، يمنح الإنسان اطمئنان الروح، واستقرار النفس، وثراء العاطفة، ومكارم الأخلاق.

لكن الأسرة في هذا العصر تواجه تحديات كثيرة تهدد كيانها بالاضطراب والاهتزاز، وتسلبها بعض مقومات دورها، وعناصر القوة في وجودها.

ومن أبرز تلك التحديات:

١. تضخم النزعة الذاتية الأنانية، فلا يفكر الإنسان الأناني إلا بذاته، ولا يهتم إلا بمصالحه الخاصة، ولا يعطي من نفسه للآخرين حتى القريبين منه.

إن حب الإنسان لذاته أمر طبيعي، لكن ذلك لا يلغي النزعات الإنسانية في نفس الإنسان، كنزعة الأمومة والأبوة والمودة الزوجية وصلة الرحم والتعاطف مع الضعفاء والمحتاجين، فهذه النزعات تشكل في الحالة السويّة رافداً من روافد حب الذات، حيث يشعر الإنسان من خلالها بالرضا والبهجة والسرور.

٢. طغيان الروح المادية حيث أصبح الإنسان يلهث خلف المال والثروة، وتحصيل المكاسب المادية، على حساب سائر الاهتمامات، فلا وقت له للجلوس مع عائلته، ولا فرصة لديه لمتابعة شؤون أبنائه، وذهنه مشغول بإدارة أعماله، ومضاعفة أرباحه.

٣. تشعب الاهتمامات في حياة الإنسان المعاصر، بسبب انفتاح آفاق العلم، وتطور وسائل التكنولوجيا، وتقدم مستوى ثقة الفرد بذاته، واكتشافه لمواهبه وقدراته، مما جعله متنوع الاهتمامات، التي قد تستغرقه وتستنزف وقته وجهده، فيجحف بواجباته العائلية، ويقصّر في أداء الحقوق الأسرية، ويحدث ذلك غالباً عند فقدان التوازن بين الاهتمامات المختلفة، والخطأ في ترتيب الأولويات.

٤. صعوبات الحياة ومتطلبات المعيشة التي يزداد ضغطها على الإنسان وخاصة في البلدان التي تعاني من أزمات اقتصادية واجتماعية. حيث

يضطر الوالدان لمضاعفة كدحهما من أجل توفير لقمة العيش ووسائل الراحة والرفاه، وقد لا تحصل كل المتطلبات المناسبة مع مستوى المعيشة السائدة، مما ينتج إرباكات داخل الحياة العائلية. ويؤثر على الانسجام بين الزوجين، أو بينها وبين الأبناء.

٥. العولة والاختراق الثقافي، فبعد أن كان كل مجتمع يعيش في إطار ثقافته وأعرافه وتقاليده، جاءت تطورات العصر لتصنع انفتاحًا غير مسبوق بين المجتمعات البشرية، فتداخلت الثقافات، واهتزت الأعراف والتقاليد في المجتمعات المحافظة، مما عمق صراع الأجيال وتباين التوجهات، وأحدث تناقضات وصراعات ثقافية اجتماعية داخل المجتمعات، انعكست آثارها ونتائجها السلبية على تماسك العائلة، وقدرتها على استيعاب واحتواء أعضائها.

إن هذه التحديات وأمثالها هي خلفية ما نلاحظه في مجتمعاتنا من زيادة المشاكل العائلية والتوترات الأسرية. ولا بد لنا في مواجهة هذه التحديات من تضافر الجهود، واستنفار الطاقات، للحدّ من الآثار السلبية لهذه التحديات على كيان الأسرة والعائلة في المجتمع.

إن تعزيز كيان الأسرة، وحمايته من التصدعات، ودعم استقرار العائلة، وتوفير الأجواء الصالحة في ظلها، يمثل برنامج وقاية للأمن الاجتماعي، ودرءًا للكثير من الأخطار والمفاسد.

ولا يتحقق ذلك إلا بإطلاق حملات من التوعية والتثقيف لتأكيد مكانة العائلة، والتأهيل لتأسيس بنائها وإدارتها بالشكل الصحيح، ولطرح الحلول والمعالجات لما قد يواجهه الأسرة من مشاكل وصعوبات.

وتحتاج مجتمعاتنا إلى مؤسسات تعنى بالتنمية الأسرية، لتنهض بمهمة الدراسة والتخطيط، ووضع المناهج والبرامج، واقتراح الحلول والمعالجات، واستقبال حالات المشاكل الحادثة للمساعدة في احتوائها ومعالجتها.

وبين يدي القارئ الكريم بضع مقالات صدرت في أوقات متباعدة، تُعنى بشأن التنمية الأسرية، وتناقش بعض قضاياها، أحبت جمعها وتقديمها في هذا الكتيب المتواضع. أرجو أن تكون مساهمة مفيدة على صعيد نشر الوعي والثقافة الأسرية الهادفة.

ومن اللّٰه تعالى أرجو القبول والتوفيق.

حسن بن موسى الصفار

١٩ سبتمبر ٢٠١١م

٢١ شوال ١٤٣٢هـ

العائلة وتحديات العصر

تواجه العائلة في المجتمعات المعاصرة تحديات كبيرة من قبل الحضارة المادية الزاحفة، فهي آخر حصن وقلعة للمبادئ والقيم الإنسانية، بعدما حطمت النزعات المادية والتوجهات الأنانية المصلحية، كل حصون المبادئ والمثل، من النظام السياسي، إلى النظام الاجتماعي العام، إلى وسائل الإعلام، وبرامج التعليم، ومؤسسات الاقتصاد.. حيث أصبحت كل هذه الميادين ساحة للكسب المصلحي والتنافس المادي، وخدمة الذات والأنا على حساب المبادئ والقيم، ودون أي اعتبار لها أو مبالاة بها. مما صير الحياة غابة وحوش، وميدان صراع، لا مكان فيها للعواطف والمشاعر، ولا رعاية فيها للقيم والمبادئ.

وبقيت العائلة كحصن أخير لأنها بطبيعتها تنبثق من حالة فطرية وجدانية، وتقوم على أساس إنساني، وتعتمد لغة العواطف والمشاعر، ومعادلة البذل والعطاء والتضحية في مقابل الأنانية والمصلحية.

لقد شاءت حكمة الله تعالى أن يودع قلوب الأمهات والآباء العطف والحنان على أبنائهم، بحيث يؤثر ونهم على أنفسهم، ويضحون بوجودهم من أجلهم، ويسخرون كل إمكاناتهم لخدمتهم وإسعادهم.

وفي المقابل يكون الأبناء ملتصقين بالوالدين وخاصة في فترة طفولتهم التي تمتد لسنوات، متأثرين بهما، تابعين لهما، وضمن أجواء الحنان والعطف والانشداد والانجذاب، ينشأ الإنسان ويتربى وتنمو عواطفه ومشاعره، فيستقبل الحياة كإنسان سوي، مشبع العواطف، مرهف الأحاسيس، يعرف قيمة التضحية والعطاء، ويقدر جهود الإحسان والبذل.

هكذا شاءت الحكمة الإلهية أن ينشأ الإنسان ويتربى، ضمن أجواء العائلة والأسرة، التي لا يحتاج إليها لتنميته جسمياً ومادياً فقط، بل لإعداده نفسياً وروحياً كذلك.

ومن هنا تأتي أهمية الأسرة فهي أرضية بناء إنسانية الإنسان، ومركز تنمية مشاعره وعواطفه، ومدرسة تربيته على القيم والمثل.

والحضارة المادية التي تعمل على (تشبي) الإنسان، وتحويله إلى شيء من الأشياء، تحكمه معادلة المصالح والمكاسب، ويدور في طاحونة الأنانية والذاتية، غايته اللذة، وهدفه إشباع الشهوة، وتحقيق المصلحة العاجلة، أما القيم والمثل والمبادئ والأخلاق، فهي في معادلة الحضارة المادية أساطير وخرافات وأوهام.

ولإنجاز هذا الهدف الخطير تزحف الحضارة المادية على كل منابع القيم والأخلاق لتجفيف روافدها، وتحطيم قنواتها، وقد وصلت حشودها الغازية

إلى آخر الحصون، هو حصن العائلة الإنساني، لتدك كيانه العريق.

وترى الآن في المجتمعات الغربية عزوفاً واضحاً تتسع رقعته يوماً بعد آخر عن الرغبة في الزواج، وتكوين العائلة، وتحمل مسؤولية الأسرة، ولماذا يتحمل الإنسان المادي الغارق في أنانيته، اللاهث خلف شهواته، أعباء تكوين العائلة وإدارتها ورعايتها؟ إن ذلك يستلزم منه العطاء من ذاته، والتنكر لأنانيته، والتضحية برغباته من أجل زوجته وأبنائه، وهو ليس مستعداً لذلك.

ونسلم الإحصاءات والتقارير عن شيوع العلاقات الجنسية خارج الإطار العائلي، وعن الأرقام القياسية لانتشار حالات الطلاق وانهايار العلاقات الزوجية.

لقد اهتزت العلاقات الأسرية العائلية تحت وطأة ضغوط الحضارة المادية، وأنهاط السلوك المادي الأناني.

وما عاد كل من الزوج والزوجة مستعداً للتنازل عن شيء من رغباته لصالح العلاقة مع الآخر واستقرار الكيان العائلي، فالمصلحة الذاتية، والنزعة الأنانية، مستحكمة غالبية، والتحريض الخارجي إعلامياً وثقافياً ومعلوماتياً في تصاعد مستمر، يدفع كلا من الزوجين إلى التخلّص من التقيّد بالآخر، والركض خلف المصالح واللذات والشهوات.

أما الأبناء فقد أصبحوا عبئاً ثقيلاً يبحث الوالدان عن فرص التخلّص منه عبر مؤسسات الحضانة والرعاية، أو بتلهيتهم بالانشداد إلى الأفلام التلفزيونية والألعاب الكمبيوترية، أو أي شيء آخر، يريح الوالدين

من أعبائهم. مع الاتجاه إلى تقليل النسل وتحديده، تجنباً لمسؤولية التربية والرعاية.

هكذا تعيش الأسرة والكيان العائلي تحدياً مصيرياً خطيراً أمام زحف الحضارة الغربية.

وفي ظل العولمة فإن مجتمعاتنا الإسلامية تواجه الخطر ذاته، وتقابل التحدي ذاته على صعيد البناء الاجتماعي ومستقبل العائلة.

لمواجهة هذا الاجتياح الزاحف نحتاج إلى إعلان حالة طوارئ لتحسين مجتمعاتنا، وللحفاظ على النظام العائلي الأسري، الذي هو الخيار المتوفر لحماية القيم والمبادئ ونقلها إلى أجيالنا القادمة.

وذلك يستدعي خططاً شاملة تتضمن محاور عديدة من أبرزها ما يلي:

١. تيسير مشروع الزواج وبناء الأسرة والتشجيع على ذلك.
٢. مساعدة ودعم الحالة الأسرية في مواجهة الضغوط الاقتصادية.
٣. إنشاء المؤسسات لمعالجة المشاكل التي تطرأ على الكيان الأسري.
٤. بث الوعي والثقافة الإنسانية والاجتماعية لمواجهة الثقافة المادية ونمط السلوك الغربي.

وفي تراثنا الديني والمعرفي رصيد ثقافي كبير يمكننا تفعيله والاستفادة منه في هذا المجال على مستوى الأحكام والقوانين الشرعية، وعلى مستوى الآداب والسنن والأخلاق، وعلى مستوى الفكر والطروحات الثقافية.

وكنموذج من المخزون الديني المعرفي الذي ينبغي بعثه وإثارته على هذا الصعيد، هو سير الأولياء الصالحين في بُعد حياتهم العائلية،

وتعاملهم الأسري.

وهو ما نستلهمه من القرآن الكريم في حديثه عن الأنبياء والأولياء حين
يستعرض جوانب من حياتهم العائلية الأسرية.



اختيار الزوج بين الفتاة وأهلها

كلما كان القرار الذي يريد الإنسان اتخاذه أكثر تأثيرًا في حياته، كان في حاجة أكثر إلى الدراسة والتأني قبل اتخاذه، حتى يتجنب الانعكاسات الخطيرة للخطأ في ذلك، أما إذا كان القرار يتعلق بشيء بسيط، فقد لا يكلف نفسه عناء المزيد من التفكير فيه.

ولعل من أهم القرارات التي يتخذها الإنسان، هو قرار اختيار شريك الحياة، لتأسيس حياته العائلية الاجتماعية، لما لذلك من التأثير الواسع المدى على مستقبله، ولما للحياة الزوجية من أهمية وخطورة، تلامس جميع جوانب شخصية الإنسان.

فإذا توفى في الاختيار، ورزقه الله زوجًا صالحًا، عاش السعادة والهناء، أما إذا ابتلي بزواج سيء، فسيعاني نكد العيش ومرارة الحياة، لذا يتوجه المؤمن إلى الله تعالى بالدعاء ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٧٤].

وعند التفكير في اختيار الشريك يحتاج الإنسان إلى سلامة ووضوح مقاييس الاختيار، فعلى أي أساس يختار؟ وما هي المواصفات التي ينشد توفرها في الطرف الآخر؟

والتعاليم الإسلامية ترشد الإنسان إلى المقاييس الصحيحة، التي يجب أن يضعها نصب عينيه عند الاختيار، وقد نحتاج إلى بحث خاص لتناولها والحديث عنها.

وما نريد التركيز عليه في هذا الموضوع، هو قرار الفتاة في اختيار شريك حياتها، فالأمر بالنسبة لها أشد خطورة من الرجل، ذلك لأن فرصة الرجل في معالجة الخطأ في هذا القرار، أكبر بكثير من فرصة المرأة، فالمبادرة بيده من الناحية الشرعية، وبإمكانه فك العلاقة والارتباط إذا ما أراد، أما المرأة فلا تملك هذا الحق شرعاً، إلا ضمن استثناءات محددة.

من هنا تحتاج الفتاة أكثر إلى التفكير السليم عند الاختيار، ومشكلة الكثير من الفتيات، أنهن يقعن تحت تأثير العامل الغريزي العاطفي بدرجة كبيرة، حيث تتأثر الفتاة غالباً بما تسمعه من كلمات غزل وحب، وتنخدع ببعض المظاهر والحركات الشبابية، وحيث ترى نفسها تعيش دوراً هامشياً في بيت أهلها تندفع مع أقرب فرصة لبناء كيانها الاجتماعي المستقل.

بالطبع لا يمكن التعميم، فهناك من الفتيات من يمتلكن النضج والرشد، ويتعالين على هذه المؤثرات.

وحماية لمستقبل الفتاة، ولترشيد قرار اختيارها، جعل الإسلام لولي أمرها دوراً في هذا القرار، على رأي قسم من الفقهاء، ويتضح ذلك في

النقاط التالية :

المرأة الثيب

إذا كان سبق للمرأة أن تزوجت، وعاشت حياة زوجية، أي دخل بها زوجها، ثم انفصلت عنه أو توفي عنها، فإنها حينئذٍ ما دامت بالغة رشيدة، وقد مرت بتجربة زوجية، فقرارها في اختيار زوج جديد يكون بيدها، ولا يملك أحد من أهلها حق الاعتراض والمنع، هذا في رأي فقهاء الشيعة والأحناف.

فهي ليست جديدة على الحياة الزوجية، ويفترض أنها تستفيد من تجربتها السابقة، فيكون قرارها نابغاً من نضج وخبرة، وليس اندفاعاً عاطفياً طائشاً.

بالطبع لا يشمل هذا من انفصلت عن زوجها أو توفي عنها قبل الدخول، لأن مجرد عقد الزواج لا يجعلها ثيباً.

وإذا كان الإسلام - وفق هذا الرأي - لم يعط لأحد من أهلها حق منعها من اتخاذ القرار، فهذا لا يعني أن تزهد في استشارتهم، والاستفادة من رأيهم، لذا قال الفقهاء إنه ينبغي للمرأة المالكة أمرها، أن تستأذن أبها أو جدها، وإن لم يكونا فأخاها وإن تعدد الأخ اختارت الأكبر^(١).

الفتاة البكر

أما الفتاة البكر، التي لم يسبق لها أن دخلت تجربة حياة زوجية، فهناك

(١) السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، العروة الوثقى، أولياء العقد، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، المسألة رقم ١٤.

رأيان بارزان لفقهاء الإسلام في قرار اختيارها الزوج.

الرأي الأول: أنها تمتلك كامل قرار الاختيار، ولا تحتاج إلى إذن من أبيها أو جدها أو أي أحد، وهذا الرأي قال جمع من فقهاء الشيعة السابقين، كالسيد المرتضى والإسكافي والحلي والمفيد والديلمي والمحقق والفاضل والشهيدين^(١) ومن المعاصرين السيد السبزواري والشيخ محمد أمين زين الدين والشيخ محمد جواد مغنية، ويذهب إلى هذا الرأي من أئمة أهل السنة أبو حنيفة وأبو يوسف.

الرأي الثاني: يشترط إذن ولي الفتاة وهو رأي أكثر فقهاء الشيعة المعاصرين، على نحو الفتوى أو الاحتياط الوجوبي، وأيضاً هو رأي جمهور أهل السنة.

وولي الفتاة الذي يؤخذ رأيه في الفقه الجعفري هو الأب أو الجد للأب فقط حيث يكفي موافقة أحدهما ولا ولاية لغيرهما على الفتاة البالغة الرشيدة.

بينما تتسع دائرة الولاية في هذا المجال عند أهل السنة لتشمل العصبات للمرأة: الأبوة ثم البنوة ثم الأخوة ثم العمومة على خلاف بينهم في ترتيب الأولياء.

حكمة إذن الولي

تقدمت الإشارة إلى أن اشتراط الشارع إذن الولي في إمضاء زواج الفتاة

(١) السيد محمد الحسيني الشيرازي، الفقه، ج ٦٤، الطبعة الثانية ١٩٨٧، (بيروت: دار العلوم)، ص ٢٠.

البكر، هو من أجل ترشيد قرارها، حتى لا يكون اختيارها نابغاً من حالة عاطفية، دون التأكد من صلاحية من تريد الاقتران به.

وخاصة في المجتمعات المحافظة، فإن الفتاة ليست منفتحة على مجتمع الرجال، لتعرف سلوك الخاطب لها، ومستواه ودرجة صلاحيته، وأبوها أو جدها يفترض فيهما الحرص على مصلحتها، ورغبتها في سعادتها، لذا كان لرأيها دخل في إمضاء زواجها.

أما غيرهما فليس له حق المنع، حسب الفقه الجعفري، نعم يستحب للفتاة أن تستشير من تثق به من أهلها، لكن ليس لأحد منهم حق المنع.

وما يمارسه بعض الأقرباء من التدخل في شأن زواج أختها، أو ابنة أخيها، أو ابنة أختها، أو ابنة عمه، أو ما أشبهه، بالعرقلة والتعويق، هو تدخل طفولي لا يقره الشرع، يقول الفقيه السيد محمد سعيد الحكيم:

«ليس لأحد من الأرحام مع فقد الأب والجد للأب الولاية على البالغة البكر فضلاً عن غيرها، بل تستقل فيه بنفسها، وما قامت عليه بعض الأعراف من تدخل الأرحام ومنعهم للمرأة عما تريد، أو عما يريد لها وليها مع وجوده، ظلم صارخ، وخروج عن الموازين الشرعية وانتهاك لحدود الله تعالى، وتجاهل لأحكامه في عبادته، وهو من أسباب الفساد المهمة، التي قد يترتب عليها ردود فعل لا تحمد عقباه، يتحمل المفسد عارها وشنارها في الدنيا، وتبعتها ومسؤوليتها في الآخرة، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(١)».

(١) السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، الأحكام الفقهية، عقد النكاح وأولياء العقد، الطبعة الثالثة ١٩٩٧م، (بيروت: دار الصفة) ص ٣٥٦، المسألة رقم ٩.

إن بعض الفتيات - كما لاحظت - ينزعجن من ممارسة وليهنّ لهذا الدور، وتسيطر عليهن الانفعالات الحادة، عندما يقف الولي أمام رغبتهن في اختيار الزوج، ولكن المطلوب من الفتاة أن تتفهم هذا الحكم الشرعي، وأن تتفهم دور أبيها الذي رباها وتحمل مسؤولية رعايتها، وهو حريص على سعادتها ومستقبلها، وهو أكثر منها تجربة وخبرةً ومعرفة بأوضاع المجتمع وأفراده، وحينما يرفض خاطبًا يتقدم لها إنما هو من منطلق عدم كفاءة ذلك الخاطب وصلاحيته.

ويحصل في بعض الحالات أن الفتاة تصر على رغبتها في الزواج من خاطب معيّن، مع رفض أبيها، ويضطر الأب للتنازل عن رأيه، والاستجابة لرغبتها، مع تحميلها مسؤولية مستقبلها، فماذا يحدث بعد ذلك؟ يحدث أحياناً أن تجد البنت نفسها في ورطة الحياة مع شخص لا يحسن التعامل معها، ولا يتحلى بالصفات المطلوبة والسلوك المناسب، فتدرك بعد فوات الأوان أنها كانت مخطئة في الاختيار، وتدفع ثمنًا باهظًا.

سوء استخدام الحق

لكن بعض الآباء قد يسيء استخدام هذا الحق، فيعترض على اختيار ابنته دون مبرر، ويمنعها من الزواج مع أن المتقدم لها كفؤ صالح، مما يسبب تأخير زواجها لفترة طويلة، وقد تصبح في عداد العانسات، وقد يكون السبب لذلك تمسك الأب ببعض المقاييس المادية والمصلحية، التي يريد توفرها في خاطب ابنته، كأن يكون ثريًا، أو في مستوى وظيفي معيّن، أو لأن الأب يريد زواج ابنته من شخص معيّن، من أقربائه أو أصدقائه، أو

لأن بين الأب وأم الفتاة مشكلة، كأن تكون مطلقة منه، أو معلقة، فيصّفي خلافه معها على حساب ابنته، ولاحظت أن أحد الآباء كان طامعاً في دخل ابنته الموظفة، لذلك فهو يعوّق ويؤخر زواجها، باختلاق الأعذار والمبررات تجاه الخاطبين.

إن مثل هذه الحالات قد تحدث، لكن ما ينبغي الالتفات إليه، هو أن الإسلام يسلب هذا الحق من الولي الذي يسيء استخدامه، فإنما يحق له المنع والاعتراض، إذا كان الخاطب غير كفؤ، وغير صالح، أما إذا كان كفؤاً مناسباً، ومع ذلك اعترض الأب فإن حقه في الاعتراض، وولايته على الفتاة تسقط هنا. يقول الفقهاء: «إذا عضلها الولي أي منعها من التزويج بالكفاءة مع ميلها سقط اعتبار إذنه»^(١).

«اتفق العلماء على أنه ليس للولي أن يعضل مولاته، ويظلمها بمنعها من الزواج، إذا أراد أن يتزوجها كفاء بمهر مثلها، فإذا منعها في هذه الحال كان من حقها أن ترفع أمرها إلى القاضي ليزوجها. ولا تنتقل الولاية في هذه الحالة إلى ولي آخر يلي هذا الولي الظالم، بل تنتقل إلى القاضي مباشرة؛ لأن العضل ظلم، وولاية رفع الظلم إلى القاضي»^(٢).

وينهى القرآن الكريم عن إعضال المرأة، أي تعويق زواجها يقول تعالى:
﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) العروة الوثقى، أولياء العقد، المسألة رقم ١.

(٢) السيد سابق، فقه السنة، ج ٢، الطبعة الثالثة ١٩٧٧م، (بيروت: دار الكتاب العربي) ص ١٣٦.

الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴿سورة البقرة، الآية: ٢٣٢﴾.

إن أي مسلم يؤمن بالله مشرعاً ورقياً، ويوم القيامة موعداً للحساب والجزاء، عليه أن يتعظ بأمر الله تعالى، ولا يتسبب في تعويق زواج ابنته دون مبرر مشروع، لأن ذلك ظلم لها، وسبب لوقوع المفاصد والمشاكل في المجتمع، لذلك تقول نهاية الآية ﴿ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾.

وقد وردت روايات وأحاديث كثيرة تحذّر من تعويق زواج البنت وتأخيرها، لأن ذلك قد يفوّت عليها الفرصة المناسبة، كما يحدث الأضرار النفسية والأخلاقية في المجتمع.

كان علي بن أسباط من أصحاب الإمام محمد الجواد عليه السلام، وكانت له بنات يرغب في تزويجهن من علماء فضلاء مثله، فأصبح ذلك سبباً في تأخير زواجهن، فكتب رسالة للإمام الجواد عليه السلام، فأجابه الإمام: «فهمت ما ذكرت من أمر بناتك وأنت لا تجد أحداً مثلك، فلا تنظر في ذلك رحمك الله، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»^(١).

وفي حديث آخر: «من خطب إليكم فرضيتم دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»^(٢).

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، قلت: يا رسول الله وإن كان ديناً في نفسه؟ قال: إذا جاءكم

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي. وسائل الشيعة، ج ٢٠، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، (بيروت:

مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث)، ص ٧٦.

(٢) وسائل الشيعة. ص ٧٧.

من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»^(١).

وصعد رسول الله ﷺ المنبر ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن جبرئيل أتاني عن اللطيف الخبير فقال: إن الأبقار بمنزلة الثمر على الشجر، إذا أدرك ثمارها فلم تحتج أفسدته الشمس ونثرته الرياح، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، فمن نزوج؟ فقال: الأكفاء. فقال: يا رسول الله ومن الأكفاء؟ فقال: المؤمنون بعضهم أكفاء بعض، المؤمنون بعضهم أكفاء بعض^(٢).

فمقياس الكفاءة والصلاح: التدين والسلوك الحسن، ومتى توفرا في المتقدم للبت، لم يكن ثمة مبرر عند وليها للتعويق والتأخير، وملحوظ تكرار التشديد والحذر في الأحاديث، بأن تعويق الزواج يسبب الفتنة والفساد الكبير في المجتمع.

(١) المصدر نفسه. ص ٧٨.

(٢) المصدر نفسه. ص ٦١.



الزواج بين التعاليم والتقاليد

إذا كان الزواج ضرورة وحاجة ملحة للإنسان في كل عصر، فإنه في هذا الزمن أكثر ضرورة، وأشد إلحاحًا. وذلك لما يتعرض له إنسان اليوم من وسائل تحريض للشهوة، وعوامل إثارة للغريزة، تجعله يعيش حالة من الهياج والاندفاع الجنسي العنيف. فوسائل الإعلام وأجهزة الاتصالات تتفنن في إذكاء الغرائز والشهوات، إضافة إلى انتشار أجواء الخلاعة والابتذال. ولم تعد هناك حدود أو مراعاة لشيء من الحياء والاحتشام، الذي كان يميز الإنسان في ممارساته لغرائزه عن بقية الحيوانات.

كما تحيط بالإنسان المعاصر الكثير من دواعي القلق، وأسباب الاضطراب النفسي، للتعقيدات التي يواجهها في توفير متطلبات الحياة، وللأخطار والتحديات المختلفة التي تنتصب أمامه على الصعيد الشخصي والاجتماعي.

وبذلك تزداد حاجة الإنسان إلى مأوى يلجأ إليه ليمنحه الطمأنينة

والاستقرار، وإلى قناة سليمة، وإطار مشروع، يمارس من خلاله غريزته الجنسية الطبيعية.

والزواج هو ذلك الحصن الحصين والكهف المنيع، الذي يوفر للإنسان أجواء الراحة النفسية، واللذة الغريزية، وفيه سكون واطمئنان نفسي، حيث يشعر كل من الزوجين بوجود من يشاركه هموم الحياة، ويعينه على مشاكلها، ويمكنه الانفتاح عليه، وبثه آلامه وآماله، لذلك يصف الله تعالى الزوج بأنه سكن للإنسان، فالرجل سكن لامرأته، وهي سكن له، أي يتوفر بكل واحد للآخر سكون النفس واطمئنانها. يقول تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم، الآية: ٢١] والخطاب موجه للرجال والنساء.

وبالزواج يصبح الإنسان أكثر حصانة ومناعة تجاه الانحرافات السلوكية، و المفسدات الأخلاقية، بل وتجاه مختلف الجرائم. وهذا ما تدل عليه الإحصاءات والأرقام. فالمتزوج أمامه طريق سالك لإشباع رغباته وشهواته، وهو غالبًا ما يفكر أكثر في تصرفاته وممارساته، لما يشعر به من مسؤولية عائلية وأسرية.

أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شبابًا لا نجد شيئًا فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة - أي النفقة - فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج»^(١).

(١) محمد بن إسماعيل البخاري. صحيح البخاري، كتاب النكاح، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ، بيروت: دار الكتب العلمية، حديث ٥٠٦٦.

وإشارة إلى دور الزواج في التحصين عن الانحراف قال ﷺ فيما روي عنه: «أيما شاب تزوج في حداثة سنه عَجَّ شيطانه: يا ويله! عصم مني دينه»^(١).

كما يشير حديث آخر إلى أن عدم الزواج يعني نسبة أكثر من احتمالات الشر والانحراف، يقول ﷺ فيما روي عنه: «شاركم عزابكم»^(٢).

بين مسؤولية الفرد والمجتمع

أصبح تأخير الزواج للشباب والشابات هو الحالة السائدة في مجتمعاتنا، حيث تستغرق الدراسة حوالي ثمانية عشر عامًا، إضافة إلى الست السنوات الأولى قبل سن الدراسة، وبعد التخرج يحتاج إلى بضع سنوات حتى يجد له عملاً، وحتى يكون نفسه ليكون قادرًا على توفير مستلزمات الزواج.

وهذا يعني أن يقضي الشباب والشابات أهم الفترات حراجه وحساسية في حياتهم العاطفية والنفسية، وهم في حالة العزوبة، مما يعرضهم للكثير من مخاطر الانزلاقات والانحرافات، ويعرض أمن المجتمع الأخلاقي للاهتزاز والاضطراب.

إن المجتمع الذي يفكر في تحصين أمنه واستقراره، ويهتم بصلاح وإصلاح أبنائه، يجب أن يسهل ويسر أمور الزواج، ويساعد الشباب على الإسراع في بناء حياتهم العائلية.

(١) علاء الدين علي المتقي الهندي. كنز العمال، ج١٦، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص٢٧٦، حديث ٤٤٤٤١.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٧٧، حديث ٤٤٤٤٨.

وإذا ما تأملنا النصوص والتعاليم الدينية نراها تحمّل المجتمع مسؤولية زواج أبنائه، يقول تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة النور، الآية: ٣٢].

﴿وَأَنْكِحُوا﴾ أي زوّجوا، وهو خطاب للمجتمع بأن يزوجوا العزاب، حيث لم يخاطب العزاب هنا بأن يتزوجوا، وإنما خاطب الناس أن يزوّجوهم. ذلك لأن الزواج غالباً ليس قضية فردية يقوم بها الطرفان المعنيان فقط، وبمعزل عن الارتباطات والتأثيرات الاجتماعية، كسائر الأمور من بيع وشراء وإجارة.. بل هو مسألة لها أبعادها وارتباطاتها المؤثرة بأكثر من جانب اجتماعي. كما أن من يريد تأسيس حياته العائلية وخاصة لأول مرة، قد يحتاج إلى دعم وعون مادي ومعنوي، لمساعدته على إنجاز هذه المهمة وإنجاحها. من هنا يتوجه الخطاب إلى المجتمع ﴿وَأَنْكِحُوا﴾.

و﴿الْأَيَامَىٰ﴾ جمع (أيّم) على وزن (قيّم) وتعني الإنسان الذي لا زوج له رجلاً كان أو امرأة، وإن كان قد كثر استعمال هذه الكلمة في الرجل إذا ماتت امرأته، وفي المرأة إذا مات زوجها، ولكنه كما نص عليه اللغويون: تشمل كل ذكر لا أنثى معه، وكل أنثى لا ذكر معها بكرّاً أو ثيباً.

وإذا كان بعض الأشخاص، يعانون من الضعف الاقتصادي، فإن زواجهم قد يكون دافعاً لهم للمزيد من العمل والإنتاج، كما أن الله تعالى سيبارك لهم ويوسع عليهم، بتحملهم لمسؤولياتهم العائلية والاجتماعية.

الإعفاف

الإعفاف لغة: فعل ما يحقق العفاف للنفس أو للغير. واصطلاحاً يقصد به الفقهاء: تزويج المحتاج للزواج لتجنيبه الوقوع في الحرام.

وقد ناقش الفقهاء المسلمون من مختلف المذاهب الإسلامية هذه المسألة على الوجه التالي: هل يجب على الإنسان، إذا كان قادراً متمكناً أن يوفر تكاليف الزواج لمن يحتاج إلى الزواج ممن تجب نفقته عليه كوالديه وأولاده؟ أم أن ذلك مستحب ومندوب إليه فقط دون أن يرقى إلى مستوى الوجوب؟

المشهور عند فقهاء الشيعة أنه لا يجب إعفاف من تجب النفقة له ولداً كان أو والداً بتزويج أو إعطاء مهر أو تملك أمة أو نحو ذلك مما يناسب حالة الإعفاف، وإنما هو أمر مندوب مستحب^(١).

ونقل عن بعض فقهاءهم القول بالوجوب للأب وإن علا، لأن ذلك من أهم المصاحبة بالمعروف المأمور بها في الآية: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٥] ولأنه من وجوه حاجاته المهمة فيجب على الابن القيام به كالنفقة والكسوة^(٢).

وهو رأي فقهاء أهل السنة «يلزم الولد إعفاف الأب والأجداد على

(١) الشيخ محمد حسن النجفي. جواهر الكلام، نفقة الأقارب، ج ١١، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، (بيروت: مؤسسة المرتضى العالمية، دار المؤرخ العربي)، ص ٢٤٢.

(٢) الشيخ يوسف البحراني. الحدائق الناضرة، ج ٢٥، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص ١٢١.

المشهور»^(١) لكن الراجح عند الحنفية أنه لا يلزمه سواء وجبت نفقته أو لم تجب^(٢).

دور الحقوق الشرعية

والمساعدة على الزواج للمحتاجين من أفضل موارد صرف الحقوق الشرعية، لأنها تحقق غرضين أساسيين في وقت واحد، هما قضاء الحاجة، وحماية الأخلاق والقيم، لذلك أفتى الفقهاء بأنه يصح أن يصرف من أموال الزكاة لتزويج المؤمنين المحتاجين للزواج، مع ضعف وضعهم الاقتصادي، وحتى غير المؤمن الملتزم يصح مساعدته من الزكاة للزواج من سهم المؤلفة قلوبهم في سبيل الله.

ولا يجب إعلام الفقير المحتاج إلى الزواج أن المدفوع إليه زكاة، بل لو كان ممن يترفع ويدخله الحياء منها، وهو مستحق، يستحب دفعها إليه على وجه الصلة ظاهراً والزكاة واقعاً^(٣).

ويجوز للوالد أن يدفع زكاته إلى ولده للصرف في مؤنة التزويج وكذا يجوز للولد أن يصرف زكاته في تزويج والده^(٤).

وكذلك فإن الخمس ينقسم في مصرفه إلى نصفين: نصف للسادة

(١) الشيخ محمد الشربيني الخطيب. مغني المحتاج، ج ٣، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ص ٢١١.

(٢) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الموسوعة الفقهية ج ٥، الطبعة الرابعة ١٤١٤ هـ، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية)، ص ٢٥٨.

(٣) العروة الوثقى، الزكاة، أصناف المستحقين، مسألة ١٢.

(٤) المصدر نفسه. أصناف المستحقين، مسألة رقم ١٧ بناء على عدم وجوب الإعفاف كما سبق.

الهاشميين، والنصف الآخر للإمام المعصوم عليه السلام فمن مصارف النصف الأول تزويج السادة المحتاجين للزواج، مع ضعفهم الاقتصادي. كما أنه يجوز الصرف من النصف الآخر الراجع للإمام عليه السلام من أجل تزويج المحتاجين للزواج من المؤمنين، بعد الاستئذان من المرجع الديني مباشرة أو من وكيله.

كما أن مساعدة المحتاجين للزواج تعتبر من أفضل موارد البذل والصدقة، لأنها تعالج حاجة ماسة حقيقية، وتسهم في تعزيز أمن المجتمع وسد ثغرات الفساد والانحراف، كما أنها استجابة للحث الإلهي والديني على الإنكاح والتزويج، وأن ذلك من أحب الأمور إلى الله تعالى، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عز وجل من التزويج»^(١).

الصندوق الخيري للزواج

إنشاء صندوق خيري لمساعدة المحتاجين للزواج، هو أفضل أسلوب لتحقيق وإنجاز هذا المطلب الديني الاجتماعي الهام، فعبر الصندوق تنتظم أمور هذا السعي المبارك، وتدرس حالات الأفراد، وتقدر لهم احتياجاتهم، والعمل الجمعي أنفع وأبرك من الأعمال الفردية. فينبغي للإخوة المؤمنين أن يبادروا إلى إنشاء هذا المشروع الهام في كل مدينة وقرية، وأن يدعم الناس الصناديق القائمة مادياً ومعنوياً لتؤدي وظيفتها المقدسة على أفضل وجه.

(١) وسائل الشيعة. ج ٢٠، ص ١٤، حديث ٢٤٩٠.

أحاديث عن التزويج

- عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أدرك له ولد، وعنده ما يزوجه فلم يزوجه، فأحدث فالإثم بينهما»^(١).
- وفي رواية عن ابن عباس عن ﷺ: «من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه فلم ينكحه ثم أحدث حدثاً فالإثم عليه»^(٢).
- وعنه ﷺ: «حق الولد على والده أن يحسن اسمه، ويوزجه إذا أدرك، ويعلمه الكتابة»^(٣).
- عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «من زوج أعزباً كان ممن ينظر الله عز وجل إليه يوم القيامة»^(٤).
- عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: «ثلاثة يستظلون بظل عرش الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، رجل زوج أخاه المسلم، أو أخدمه، أو كتّم له سرّاً»^(٥).

مراسيم الزواج

لأن الزواج حدث هام في حياة الإنسان، بل لعله أهم حدث يترك

(١) الفضل بن الحسن الطبرسي. مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٧، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص ٢٤٥.

(٢) كنز العمال، ج١٦، ص ٤٤٢، حديث ٤٥٣٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤١٧، حديث ٤٥١٩١.

(٤) محمد بن يعقوب الكليني. فروع الكافي، ج ٥، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص ٣٣١.

(٥) وسائل الشيعة، حديث ٢٤٩٩٤.

تفاعلاته العميقة في وجدان الإنسان ومشاعره، ويؤثر في مجريات حياته. كما أن له انعكاساته الاجتماعية على المحيطين بالمتزوج، لذلك من الطبيعي أن ترافقه مراسم احتفاء وبرامج إعلام وإظهار، تتيح الفرصة للتعبير عن مشاعر الفرح والسرور، عند المتزوجين والمحيطين بهما، وتكشف عن مدى تعاطف الآخرين وتقديرهم بالمشاركة والتفاعل.

ومراسيم الزواج هي إعلان عن ولادة كيان اجتماعي جديد، وتأسيس علاقة محترمة في شرع المجتمع وأعرافه، وأيضاً فإنها توثيق لروابط المحبة والود والتآلف بين أبناء المجتمع.

من هنا شجع الإسلام على الاحتفاء بالزواج، وإقامة مراسم مناسبة له، كصنع الوليمة والإطعام، وزفاف العريسين.

بالطبع يمكن لمراسيم الزواج أن تتطور أساليبها وبرامجها، مع اختلاف العصور والمجتمعات والظروف لكن ما ينبغي التنبيه إليه أمران:

أولاً: أن تبقى في إطار مراعاة الأحكام الشرعية، فلا يجوز شرعاً أن يحصل تجاوز لأحكام الستر والحجاب بين النساء والرجال الأجانب عليهن، وإذا كان بعض الفقهاء قد أجازوا الغناء للنساء في مناسبة الزواج دون استخدام آلات اللّهُو كما هو رأي السيد الخوئي والسيد الشيرازي والشيخ التبريزي^(١) لكن ذلك مشروط بأن لا يصل صوت غنائهن للرجال الأجانب.

(١) السيد محمد الشيرازي، نشرة أجوبة المسائل الشرعية، ج ٢ ص ١٠١. السيد أبو القاسم الخوئي. الشيخ جواد التبريزي، صراط النجاة، ج ١، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م، (الكويت: مكتبة الفقيه)، ص ٣٧٤.

ومن المخالفات الشرعية تداول تصوير حفلات الزواج النسائية، وتسربها إلى الرجال الأجانب. وقد نشرت جريدة الوطن السعودية بتاريخ ١٤٢٢/٤/١ هـ تحقيقاً من الدمام حول الموضوع تحت عنوان «تسرب أشرطة حفلات الزواج بالسعودية يثير مشكلات أسرية بعضها ينتهي بالطلاق».

ثانياً: الحد من المبالغة المتصاعدة في هذه المراسيم التي تثقل كاهل المتزوجين وأهاليهم، حيث تستنزف مبالغ طائلة، وجهوداً مضنية، تجعل تكاليف الزواج باهظة معقدة، مع ما نعيشه من صعوبة في الظروف الاقتصادية.

والملاحظ استمرار الزيادات والموضات الجديدة، في ما يرتبط بحفلات الزواج والتنافس على عقدها في أضخم الصالات، وتقديم الولايم بطريقة فيها الكثير من الإسراف والتبذير، ثم التفاخر بأعلى الفساتين ليلية الزفاف، وأحدث موديلات السيارات للزفة، وإلى قائمة من العادات والتقاليد المرهقة الباهظة.

إن المجتمع بحاجة إلى ثقافة واعية لتغيير هذه العادات والتقاليد، وإلى مبادرات شجاعة من قبل فتيان وفتيات يتمردون على هذه الموضات والموديلات في مراسيم الزواج، ويعودون بها إلى حالة البساطة واليسر، كما تؤكد تعاليم الإسلام يقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٥].

لنعرف قدر زوجاتنا

من أهم أسباب سوء العلاقة بين الإنسان والآخرين الذين يتعامل معهم أن تتضخم في نفسه مصالحه دون أن يفكر في مصالح الآخرين، فيهتم بحقوقه ولا يلتفت إلى حقوق الآخرين. والحياة قائمة على الحقوق المتقابلة، فكما أن لك حقوقاً، فإن لمن يتعامل معك حقوقاً، وعليك عند أي مشكلة أو قضية أن تستحضر حقوقك وحقوق الطرف الآخر، أما إذا استحضرت حقوقك فقط وغفلت عن حقوق الطرف الآخر، فهذا يجعلك في موقف ذهني ونفسي يُبعدك عن الإنصاف الموضوعية، وبالتالي يحصل سوء العلاقة، ويحصل الابتعاد وقد يحصل العدوان.

ومن أجلى موارد هذه الحالة العلاقات الزوجية. ويرتكز البحث على زاوية محددة من هذه العلاقة وهي علاقة الرجل بزوجه. هذه العلاقة التي لا تشبهها أية علاقة أخرى في عالم الحياة الإنسانية، فهي علاقة مميزة. لذلك حينما يتحدث الفقهاء عن عقد الزواج فإنهم يعتبرونه عقدًا مقدسًا، فيه

روح العبادة.

والله جلّ شأنه في القرآن الكريم يتحدث عن هذه العلاقة بشكل لا ترقى إليه أية علاقةٍ أخرى، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ﴾ [سورة الروم، الآية: ٢١]. فالعلاقة الزوجية هي علاقة سكن، ويعني الاطمئنان والشعور بالأمن.

فكما أن الإنسان في بيته يشعر بالأمن والخصوصية، فكذلك في العلاقة الزوجية ينبغي أن يكون هذا الشعور موجوداً. والمودة تعني مشاعر الحب المتبادلة بين الزوجين، والرحمة تعني العطف والشفقة خاصة حينما يحتاج أحد الطرفين إليها من الآخر.

وفي آيةٍ أخرى يصف الله تعالى هذه العلاقة بوصفٍ عجيبٍ يستدعي التأمل والوقوف، يقول تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٧]، فالعلاقة الزوجية من حيث صلتها بالإنسان كصلة اللباس به. والإنسان يستفيد من اللباس في نواحٍ عدة:

أولاً: ستر العورة.

ثانياً: الأناقة وجمال المظهر.

ثالثاً: الوقاية من تقلبات الظروف المناخية.

وذلك حال المرأة بالنسبة للرجل، والرجل بالنسبة للمرأة، حيث يُقدم كلُّ منهما للآخر هذه الأدوار الثلاثة، ستر العورة من خلال إشباع الغريزة الجنسية بطريقةٍ لائقة، إذ بدونها قد يندفع الإنسان إلى علاقةٍ غير شرعية.

والعلاقة الزوجية جمالاً وكمالاً للإنسان كاللباس تماماً، وهي تحمي الإنسان من مختلف التقلبات والظروف والمشاكل الحياتية والاجتماعية.

والتعبير في الآية الكريمة باللباس يُشير إلى اللصوق، حيث إن اللباس لاصق بجسد الإنسان، وكذلك حال العلاقة الزوجية، ملتصقة بالإنسان نفسياً وشعورياً وعملياً.

المعاشرة بالمعروف

يؤكد القرآن الكريم أن الشكل الوحيد المقبول للعلاقة الزوجية هو المعاشرة بالمعروف، ولا يمكن أن يقبل الشرع بعلاقة زوجية لا تقوم على هذا الأساس.

وفي القرآن الكريم اثنا عشر مورداً يتحدث عن العلاقة الزوجية بتأكيد مبدأ المعروف، يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٩]، ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٩]، ﴿وَكُنَّ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٨]، إلى آخر تلك الموارد.

والآية الكريمة: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ تؤكد أن العلاقة الزوجية إما أن تكون قائمة على مبدأ العلاقة بالمعروف، وإلا فإن البديل: ﴿تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾. ولذلك أفتى الفقهاء بأن الزوج إذا لم يتعامل مع زوجته بالمعروف فإن لها أن تشكوه للحاكم الشرعي، ولمعالجة الموضوع تحصل ثلاث خطوات:

الأولى: يستدعي الحاكم الشرعي الزوج ويأمره بأن يتعامل مع زوجته بالمعروف، ويزجره عن الإساءة لزوجته، فإذا لم يلتزم بكلام

الحاكم الشرعي، تأتي الخطوة الثانية.

الثانية: يقوم الحاكم الشرعي بتأديبه وتعزيره، سجنًا أو ضربًا أو توبيخًا، أو أي إجراء آخر حتى تتحقق العلاقة بالمعروف بين الزوج وزوجته. وإذا لم يؤدِّ هذا الإجراء هدفه، تأتي الخطوة الأخيرة.

الثالثة: من حقَّ الزوجة أن تطلب الطلاق، فيأمر الحاكم الشرعي الزوج بالطلاق، فإذا لم يُطَلِّق الزوج طَلَّقَهَا الحاكم الشرعي.

وفي توضيح هذه الحقيقة يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين: «إن الاستفادة من مجموع هذه الآيات هو: المقابلة بين المعاشرة بالمعروف والتسريح بإحسان؛ هذا يقتضي أنه حين لا تتحقق الأولى (المعاشرة بالمعروف) من قبل الزوج لأيِّ سبب من الأسباب (اختياري أو قهري - لأن الصيغة مطلقة من هذه الجهة) يتعين التسريح بإحسان. فإن التردد جاء بكلمة (أو) التي مقتضاها هو خيار المكلف بين الأمرين. فلا وجه للقول بأن للزوج أن يعاشر بالمعروف أو بغير المعروف. وإذا أراد أن يفارق كان عليه أن يفارق بإحسان لأن هذا يتنافى مع كلمة (أو) في الآيات الكريمة وفي جميع موارد استعمالها. فالحاصل أن العلقة الزوجية وجودًا مبنيةً على المعاشرة بالمعروف فقط، وانقطاعًا مبنيةً على المفارقة بإحسان»^(١).

ما هو المعروف؟

المعروف هو ما تعارف عليه الناس، من الذوق المكتسب من لون حياتهم

(١) محمد مهدي شمس الدين. فساد العلاقة الزوجية، ولاية الحاكم الشرعي على الطلاق، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، (بيروت: المؤسسة الدولية للدراسات والنشر)، ص ٤٨.

الاجتماعية. وكل عصرٍ وجيل له أعرافه وتقاليده. ومطلوبٌ من الرجل أن يتعامل مع زوجته ضمن العرف الشائع للتعامل. والمعروف ما عرفه الشرع وقبله العقل.

والمعروف ما عرفه الناس الأسوياء في فطرتهم وميولهم. وبالتالي، فإن أية مخالفة لهذا المبدأ تُعتبر إساءة للمرأة. قال السيد عبدالأعلى السبزواري في تفسيره:

«بيّن في هذه الآية المباركة أن الطريق الصحيح هو المعاشرة مع النساء بالمعروف، بأن تكون المخالطة والمصاحبة والعيش معهن بما هو المعروف بين أفراد المجتمع، ولم يعيّن سبحانه وتعالى كيفية ذلك، ليكون العرف الذي هو الشائع في كل عصر وزمان هو المعتمد في ذلك»^(١).

وفي استفتاءٍ قُدّم للمرجع الراحل السيد الخوئي عن حكم رفع الصوت على الزوجة في مقام حدوث أمر لا يعجب الزوج هل يكون من باب أذية المؤمن المحرّمة؟ أجاب عليه السلام: «ما علم أنه يؤذيها لا يكون من المعاشرة بالمعروف»^(٢).

استيعاب الخطأ

عندما تصدر من الزوجة إساءة تجاه زوجها فإن النصوص الدينية تتوجه للرجل وتُخاطبه باعتباره ربّاً للأسرة، وقائداً لهذه المؤسسة العائلية بأن

(١) عبدالأعلى الموسوي السبزواري. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج٧، الطبعة الثانية

١٤٠٩ هـ، (بيروت: مؤسسة أهل البيت عليهم السلام)، ص٣٤٩.

(٢) صراط النجاة ج٢، مسألة ١١٧٦، ص٣٧٩.

يستوعب هذه الإساءة، ولذلك تؤكد النصوص أن من حقّ الزوجة على زوجها أن يغفر لها جهلها وخطأها. عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حقّ المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً؟ قال: يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها، وقال أبو عبد الله عليه السلام: كانت امرأة عند أبي عليه السلام تؤذيه فيغفر لها^(١).

وعن يونس بن عمار قال: زوّجني أبو عبد الله عليه السلام جارية لابنه إسماعيل فقال: أحسن إليها، قلت: وما الإحسان؟ قال: أشبع بطنها واكس جنبها واغفر ذنبها^(٢).

والمرأة كالرجل، فكما أن الرجل معرض للخطأ فهي أيضاً معرضة للخطأ، وخاصة مع أعباء الحياة والظروف التي تعيشها.

في بعض الأحيان يكون الزوج حاداً وقاسياً فيما يتطلبه من زوجته، فلا يقبل منها خطأ ويعتبر أن أيّ خطأ من الزوجة مبرر لمعاقتها. وهذا خطأ، على الرجل أن يتفهم جيداً حقوقه التي أقرّها الشرع على زوجته. إذ يُقرّ الشرع للزوج على زوجته حقين أساسيين فقط:

الأول: حق الاستمتاع الجنسي، ما لم يكن مانع ديني أو صحي.

الثاني: أن لا تخرج من بيته إلا بإذنه، على تفصيلٍ في المسألة.

فإذا قصّرت المرأة وتجاوزت في هذين المجالين، تكون مخطئة، ولكن فيها عداها، كالطبخ وترتيب البيت وتربية الأولاد، فكل ذلك إحسان منها

(١) وسائل الشيعة، حديث ٢٥٣٣٠.

(٢) المصدر نفسه. حديث ٢٥٣٣٢.

وتفضّل، جرى عليه العرف والتعامل، فليتّق الله بعض الأزواج في زوجاتهم، ولا يندفعون تجاه القسوة على المرأة نتيجة قصور فهمهم لحقوقهم.

ويتعجّب الإنسان من الحالات التي تحصل في المجتمع، ونسمع عنها بين الحين والآخر. وفي هذا الإطار نشرت جريدة الحياة قبل أيام أن رجلاً من مدينة... اختلف مع زوجته حول شراء بعض الأشياء في السوق، فبدأ بالسب والشتم المتقابل، وفي الأخير ضرب زوجته حتى سقطت على الأرض وعلى مرأى من الناس. وهذه حالة غير سوية، وقد تكون حالة شاذة، ولكننا نسمع عن حالات أخرى مشابهة تحصل داخل المنزل، وبعضها كشف عنها الإعلام، وأخرى تظل في الخفاء.

وهنا يجب أن يعلم الرجل أنه محاسبٌ أمام الله، فقد يكون هناك شأنٌ معيّن من زوجتك لا يُعجبك، ولكن عليك أن تعرف أنها كإنسان لها خصائصها وطبائعها ولم يخلقها الله تعالى وفق مزاجك، وقد ورد في الحديث: «لا يترك مؤمنٌ مؤمنةً إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»^(١).

وعلى الرجل أن ينظر إلى الجوانب الإيجابية لدى زوجته، ولا يُركّز على الجوانب السلبية فقط. والقرآن الكريم صريحٌ في هذا الجانب، يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١٩]. وبعبارةٍ أخرى: على الرجل أن يتحمّل بعض ما يكرهه من زوجته، لأن هناك جوانب أخرى، يجعل الله فيها خيراً كثيراً، ومن أبرزها ما يرتبط بالأولاد وتربيتهم، فانفعال الرجل وعدم تحمله

(١) حسن السيد علي القبانجي. شرح رسالة الحقوق، ج ١، الطبعة الثالثة ١٩٩١م، (بيروت: دار الأضواء)، ص ٤٥٧.

بعض ما يكرهه من زوجته يؤثر سلبيًا على تربية وتنشئة الأولاد. وفي المقابل إذا تحمل الرجل وصبر، فإن من مظاهر الخير الكثير أن الأولاد يتربون التربية الصالحة السليمة في أحضان أمهم وفي ظل الانسجام بين والديهم.

من ناحية أخرى، ليس الطلاق وحده وغياب الأم يوجد مشكلة للأولاد، وإنما سوء المعاملة بين الرجل وزوجته له أكبر الأثر في تعقيد نفسية الأولاد، ويترك ذلك مشاعر مضطربة تجاه الأم وتجاه الأب، فعلى الرجل أن يكظم غيظه، وأن لا يُظهر مشكلته مع زوجته أمام أولاده، تفاديًا لأي مضاعفات تحصل لهم.

وأخيرًا، فإن الإساءة للأم يؤثر على قدرة الأم في تربية أولادها، إذ من الضروري أن تحظى بالاحترام والتقدير من قبل أولادها، وهذا لا يكون إذا كان سلوك الزوج معها قاسيًا. والنصوص الدينية في هذا الإطار كثيرة جدًا، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه أعطاه الله بكل مرة يصبر عليها من الثواب ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه»^(١)، وفي حديث آخر عنه ﷺ: «ومن صبر على خلق امرأة سيئة الخلق واحتسب في ذلك الأجر أعطاه الله ثواب الشاكرين»^(٢). وسوء الخلق الذي يقصده الحديث هو ما يُمثل سجيةً للزوجة، فضلًا عن أن يكون ذلك خطأً عارضًا.

(١) محمد باقر المجلسي. بحار الأنوار، ج ٧٣، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ، (بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي)، ص ٣٦٧.
(٢) وسائل الشيعة. حديث ٢٥٣٤٨.

الصف الأسري

العائلة هي الدائرة الأقرب للإنسان والأكثر التصاقاً به، وحينما تكون علاقة الإنسان داخل عائلته علاقةً طيبة، ويكون هناك انسجامٌ بينه وبين عائلته، فإن ذلك يجعل الإنسان أكثر سعادة، وأكثر قدرة على الإنتاج والفاعلية، وأقرب إلى حسن المعاملة مع الآخرين. أما إذا كان على العكس من ذلك، فهذا يوجد له الكثير من الانزعاج والقلق النفسي، ويؤثر على إنتاجه، ويُرشحه أيضًا ليكون سيئاً في وضعه الاجتماعي العام. ولهذا جاءت النصوص والأحاديث تؤكد أن يكون الإنسان حسنًا ومحسنًا في علاقاته العائلية. فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»^(١) فالرسول ﷺ يجعل حسن العلاقة العائلية مقياسًا للخيرية بين الناس. وقال الإمام الصادق عليه السلام: من صدق لسانه زكا عمله، ومن حسنت نيته زاد الله عز وجل في رزقه، ومن حسن بره بأهله، زاد الله

(١) جلال الدين السيوطي. الجامع الصغير، ج ١، حديث ٤١٠٠.

في عمره ^(١). فقد تكون الزيادة في العمر أثراً غيبياً، وقد تكون أثراً طبيعياً؛ لأن حسن البر للأهل يوجب الارتياح النفسي، وهذا له أثر كبير على صحة الإنسان، مما يجعل عمر الإنسان طويلاً. ولذلك ينبغي للإنسان أن يكون حريصاً جداً على أن تكون علاقته داخل عائلته علاقةً طيبة وعلى أحسن ما يكون. يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: لا يكن أهلك أشقى الناس بك. ففي بعض الأحيان ترى علاقة البعض مع الآخرين حسنة، ولكنهم مع المحيط الأسري يتحولون إلى وحوش كاسرة، والسبب أنهم يرون أن علاقتهم مع الآخرين تحكمها مصالحهم معهم، ونظرتهم لهم، فهم مضطرون لتحسين علاقتهم معهم.

يزداد الحديث الآن، على المستوى الوطني والعربي والإنساني، حول قضايا العنف الأسري، فأصبحت هناك مؤسسات عالمية تتحدث عن هذا الموضوع، وتشكلت منظمات في مختلف الدول لحماية الإنسان من العنف الذي يتعرض له داخل أسرته.

وفي المملكة العربية السعودية بدأت هذه المسألة تُطرح كظاهرة في واقع المجتمع، وأصبحت الجرائد تتحدث عن حالات من العنف الأسري، وبدأت بعض المحاكم تُفصح عن بعض ما يصل إليها من قضايا ترتبط بهذا الأمر.

بالطبع، حالات العنف الأسري، كالعنف ضد المرأة أو تعرض الأولاد لعنفٍ مبالغٍ فيه داخل أسرهم، ليست جديدة الحدوث فهناك حالات

(١) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٠٣.

كثيرة كانت تحصل في المجتمع ولكن الحديد في الأمر هو إظهارها إعلامياً،
وتسليط الأضواء عليها.

والسؤال: هل هناك حالات للعنف الأسري في منطقتنا؟ وهل تشكل
ظاهرةً أم أنها حالاتٌ نادرة؟

يبدو لي من خلال متابعتي الاجتماعية، وما يصلني من قضايا ترتبط
بهذا الشأن، أن هناك حالاتٍ كثيرةً من العنف الأسري، ولكننا إذا سلطنا
الأضواء على ما يبرز منها، فإننا لا نستطيع أن نصنّفها في مستوى الظاهرة
الاجتماعية، أما إذا تأملنا في واقع حياة المجتمع فإن ما يظهر من هذا الحالات
ما هو إلا جزءٌ قليل قد لا يُساوي ١٠٪ من واقع الحالة الموجودة.

هناك عنف أسري منزلي يُمارس ضد المرأة في بعض الأحيان، ويُمارس
ضد الأولاد في أحيانٍ أخرى. والعنف الذي يُمارس ضد الأولاد قد يكون
من قبل الوالدين، أو من طرفٍ ثالث كما لو كانت أم الأولاد متوفاة أو مطلقة
وكان هؤلاء الأولاد تحت رعاية امرأة أخرى.

العنف الأسري أسوأ أنواع العدوان

واضح أن العنف الأسري سيءٌ وقبيح، لأن الأسرة هي ملاذ الإنسان
وملجئه ومأمّنه، وإذا كان الإنسان يواجه العدوان داخل أسرته فأين يبحث
عن الأمن والملجأ؟

ضع أمامك صورةً لطفل يُصيبه أي اعتداء، فإنه يهرع لأمه أو أبيه، فإذا
كانت الأم هي مصدر العدوان عليه، فإلى من يهرع هذا الطفل؟ فيصبح لديه
شعورٌ وكأنه لا جهة تحميه، وبالطبع هو غير قادر على حماية نفسه، وهذه

المشاعر حينما تتراكم في نفس الطفل تخلق لديه عقداً وأمراضاً نفسية، ويبدأ يُفكر في مختلف الأساليب والوسائل للدفاع عن ذاته. وتحصل عنده مشاعر ضد الناس، لعدم وجود من يحميه فيهم.

فالعنف الأسري هو أسوأ نوع من أنواع العدوان ممكن أن يتعرض له الإنسان، لأن الجهة المكلفة بحمايته تُصبح هي مصدر العدوان عليه.

العنف الأسري يُهيئ الإنسان لممارسة العنف ضد الآخرين.

من ناحيةٍ أخرى، الإنسان في الأسرة يتعلم أساليب الحياة، وأنماط العلاقات والتعامل، فإذا كان العنف هو أسلوب التعامل داخل الأسرة، فسيتربى الأولاد على هذا الأسلوب في تعاملهم مع الآخرين.

والجدير بالذكر أن الدراسات الميدانية الاجتماعية على الأشخاص الذين مارسوا العنف تجاه زوجاتهم أو أولادهم، تؤكد أن النسبة الكبرى لهؤلاء قد تعرضوا للعنف في صغرهم، أو عايشوه في محيطهم العائلي وأوجد ذلك عندهم التوجه والاستعداد لممارسة العنف ضد الآخرين فيما بعد.

أسباب العنف ضمن الأسرة

أولاً: سوء الخلق

فإذا كان الإنسان سيء الخلق، فإن أول ظهورٍ لهذا الخلق السيئ يكون ضمن الإطار الأسري، لأن الأسرة هي الدائرة الأقرب إليه والأكثر احتكاكاً به.

إذا شعر الإنسان أنه في موضع القوة وكان سيئ الأخلاق فإن ذلك يدفعه لممارسة العدوان على الآخرين، خصوصاً إذا علم أن الطرف الآخر

لا سبيل له للانتقام. وهذا تمامًا ما يقوم به الرجل الذي يُمارس العنف تجاه أسرته، ولذلك وردت عدة أحاديث تُحذر من ظلم الضعيف، كما ورد في وصية الإمام الحسين عليه السلام لابنه الإمام علي بن الحسين عليه السلام حيث قال له: «أي بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله جلَّ وعزَّ»^(١).

ثانياً: رد فعل لضغط الظروف الحياتية

يواجه الإنسان في حياته ضغوطاً متعددة: اقتصادية، واجتماعية، فحينما تتجمع هذه الضغوط في نفس الإنسان قد يفتش عن متنفس لكبته الذي يعيشه، حينها يلجأ لظلم عائلته أو من هم دونه.

ثالثاً: الثقافة الخاطئة

ومن مظاهرها شعور الإنسان بأن له الصلاحية الكاملة والمطلقة في التصرف تجاه عائلته، وكأنه لا حساب ولا عقاب، بعكس ما عليه الحال في تعامله مع الآخرين. ويُكرّس هذا الشعور الخاطيء، في كثير من الأحيان، عند الإنسان حالة الإساءة لعائلته. ولو تأمل الإنسان الجانب الشرعي لوجد أنه لا يمتلك هذه الصلاحية.

نعم، في الشرع مسألة التأديب، بأن يؤدب الأب أولاده، ولكن التأديب له حدوده وضوابطه، فليس من حق الإنسان أن يفعل ما يشاء بأولاده تحت عنوان التأديب.

وفيمَا يرتبط بالزوجة هناك حكمٌ خاص للناسز، يقول تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ﴾ [سورة

(١) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١١٨.

النساء، الآية: ٣٤]، وهو ضمن حالات استثنائية ناقشها الفقهاء، وضمن ضوابط أيضاً، وليس مسألة مطلقة.

ويعتقد البعض أن تقصير المرأة في الطبخ أو الخدمة المنزلية، أو تجاه أولادها، يُجيز له استخدام العنف معها أو الإساءة لها على اعتبار أنها قصرت في حق من حقوقه، وهذا اعتقاد خاطئ. فعلى الإنسان أولاً أن يعرف ما هي حدود حقوقه، وأن لا يذهب بها عريضة تجاه زوجته. فالشرع المقدس لم يوجب على المرأة حتى إرضاع أطفالها، بل ولها أن تطلب الأجرة من الأب على ذلك، فكيف يحق للأب مطالبة زوجته وتعنيفها فيما لم يجعله الشرع من واجباتها!

وهناك نصوص كثيرة في هذا الاتجاه، كما ورد عن رسول الله ﷺ: «من لطم زوجته على وجهها، أمر الله مالك خازن النيران أن يلطمه سبعين لطمَةً على وجهه في نار جهنم». وقال ﷺ: «من ضرب زوجته أقامه الله تعالى يوم القيامة فيفضحه على رؤوس الأشهاد».

وتجاه الأولاد كذلك، إذ لا يصح للإنسان أن يُمارس العنف تجاههم، ومن ناحية التأديب فعلى الأب أن يعلم أن الطفل يحتاج إلى فترة من العمر حتى يعي ماذا تعني المسؤولية. والنصوص تحدد هذا العمر بسبع سنين، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبع سنين، وألزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح وإلا فإنه ممن لا خير فيه»^(١). وفي حديث

(١) محمد بن علي بن بابويه القمي. الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٣، كتاب النكاح، باب: تأديب الولد وامتحانه، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، (بيروت: دار المرتضى)، ص ٧٣٧.

آخر: «مروا صبيانكم بالصلاة في سبع سنين، واضربوهم عليها في عشر»^(١).
والضرب الذي تعنيه الروايات هو الضرب الخفيف الذي لا يوجد أثرًا في
الجسم، مما يستلزم عليه الدية.

فماذا يُقال عن بعض الأشخاص الذين يُمارسون العنف ضد أولادهم
في هيجان الغضب، مما قد يُسبب تلفًا لعضوٍ من أعضاء الولد.

وهناك العديد من القصص التي يندى لها الجبين من فظاعتها، فمرةً
دخل أحدهم المطبخ ليرى بعض أواني المطبخ مكسرة، وإلى جانبها طفله وهو
يلعب، فلم يتمالك الأب نفسه فعمد إلى لوح فيه مسامير صادية، وضرب بها
طفله ضرباً مبرحاً، وفي المستشفى قرر الطبيب بتر يد الطفل لما أصابها من
التسمم، وبقي الأب نادماً طول حياته في وقت لا ينفع فيه الندم.

(١) عبدالحسين أحمد الأميني. الغدير، ج ٩، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، (قم: مركز الغدير
للدراسات الإسلامية)، ص ٢٨٣.



العنوسة ومسؤولية المجتمع

خلق الله تعالى الإنسان من شقين، شق يطلق عليه الذكر، والشق الآخر يطلق عليه الأنثى. وأوجد عند كل من الشقين اندفاعاً باتجاه الآخر، وجعل الحياة قائمة على الالتقاء بين هذين الشقين، وتكاملهما معاً فلا يستطيع أحد الشقين أن يمارس حياته بسعادة وهناء، وأن يؤدي وظيفته التي كلف بها في هذه الحياة -وظيفة الخلافة في الأرض، وإعمار الكون، وتسخير ثروات الطبيعة- لا يستطيع القيام بهذه الوظيفة وحده، إنما لا بد من مشاركة الشق الآخر. ولذلك ومنذ اليوم الأول خلق الله تعالى آدم ﷺ وخلق إلى جانبه حواء، وحينما أسكنه الجنة، أسكنه مع زوجته ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٣٥] وحينما أنزله إلى الأرض أنزله مع حواء أيضاً. لأن بناء الحياة لا يتم ولا يستقيم إلا بتلاقي الشقين وتكاملهما معاً.

ولكن كيف يتلاقى هذان الشقان (الذكر مع الأنثى)؟ بالطبع لا بد وأن يكون هذا اللقاء - الذي سوف تترتب عليه مهام ووظائف وأدوار -

مقنناً ومنظماً.

يقال إن البشرية في عهدٍ سحيقة كانت تعيش حالة من الشيع في مختلف جوانب الحياة، ومنها الجانب الجنسي، كان كل رجل مشاعاً لكل النساء، وكانت كل امرأة مشاعةً لكل الرجال، ولكن كيف كانت هذه الحياة ومتى كانت؟

نحن نعتقد أن الحياة البشرية كانت وفق الفطرة، وفق التوجيه الإلهي، بداية الحياة البشرية كانت بأبينا آدم ﷺ وأمنا حواء، واستمر الهدي الإلهي والوحي السماوي على المجتمعات البشرية، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٧].

على العموم، حتى لو صحت هذه الفرضية، لكنها كانت حالة بدائية، والبشرية قد تجاوزتها، وأصبحت حالة التلاقي بين الرجل والمرأة قائمة على أسس، وقائمة على تنظيم. لكن هذا التنظيم يختلف من مجتمع إلى آخر، ومن ديانة إلى أخرى. لكن الشيء الأكيد أن عملية التلاقي بين الرجل والمرأة، والمشاركة في بناء حياة مشتركة ما كان يتم اعتباراً، ولا كان يتم بشكل عفوي، وإنما كان يتم على أساس قوانين وأنظمة أو أعراف وتقاليد، أو أحكام وتشريعات، يؤمن بها المجتمع في أي عصر من العصور.

لذا قضية الزواج والنكاح ليست خاصة بمجتمع دون آخر. كل المجتمعات البشرية متدينة كانت أم غير متدينة، دينها سماوي أو وضعي، بالتالي لا بد من وجود قانون ما ينظم حالة التلاقي، وحالة المشاركة بين الرجل والمرأة، في بناء هذه الحياة الإنسانية.

الدين الإسلامي والزواج

حث الإسلام كثيرًا على الزواج، وشجع على بناء الأسرة والعائلة، من جملة الآيات القرآنية في هذا المجال قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سورة النور، الآية: ٣٢].

لماذا يتزوج الإنسان؟ ولماذا يبني له عائلة، رجلًا كان أو امرأة؟ بالطبع هناك دافع غريزي، وهذا يشبه سؤالنا: لماذا يأكل الإنسان، ولماذا يشرب الإنسان، ولماذا يتنفس الإنسان، كما أن هذه الأمور حاجات بيولوجية عند الإنسان، لا يستغني عنها، ويندفع إليها بشكل تلقائي، فإن الزواج - أيضًا - هو الآخر يعبر عن حاجة طبيعية في جسد الإنسان.

الزواج - الذي من خلاله تتكون العائلة - له آثار كبيرة، على الإنسان مجتمعا، من أهمها:

١. الزواج تلبية لغريزة أساس في الإنسان - رجلًا وامرأة - هي الغريزة الجنسية.

٢. الزواج اطمئنان واستقرار نفسي. فالإنسان في هذه الحياة يواجه مشاكل وصعوبات، فهو بحاجة إلى شريك له في الحياة، يفضي إليه بهومومه وآلامه وآماله - يشاركه السير في دروب هذه الحياة الوعرة والشاقة والصعبة - في كثير من الأحيان. في الزواج اقتران رجل وامرأة، واقتران امرأة برجل، هو يعني اختيار شريك للإنسان، حتى يرافقه في درب الحياة. حتى يساعده في مواجهة مشاكل ومتاعب الحياة، وعلى

القيام بوظائف الحياة. ولذلك القران الحكيم يعبر عن هذه الحالة: ﴿لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [سورة الروم، الآية: ٢١] فالرجل سكن للمرأة كما أن المرأة سكن للرجل، إذ تسكن وتطمئن نفس كل منهما للآخر، إذًا فالزواج يوفر الاستقرار النفسي والاطمئنان الروحي.

٣. الزواج طريق استمرار النسل البشري.

٤. الزواج دافعٌ لعمارة الكون. لأن الإنسان حينما يتزوج يشعر بالمسؤولية، هذا الشعور يدفعه للعمل، ويدفعه للإنتاج. الإنسان إذا لم تكن له زوجة، إذا لم تكن لديه عائلة، ليس لديه دافعٌ كبيرٌ للعمل والإنتاج، لأنه لا يشعر بأعباء الحياة. فهو كفرد أقل شيء يمكن أن يوفر له احتياجات حياته، ولكن حينما يتزوج الشاب وتصبح عليه مسؤولية الزوجة، ومسؤولية العائلة والأولاد، فإن هذا يدفعه للعمل والكدح. بل نحن نجد أن الإنسان من بداية وعيه وحينما يصبح شابًا ويبدأ يعي الحياة فإنه يكدح ويعمل من أجل أن يكون الحياة العائلية. ومن هنا نفهم معنى بعض الروايات التي تعتبر الزوج سببًا للبركة والغنى، يقول تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. وفي الرواية: «إن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فشكى له الفقر، فقال له: تزوج»، وبالفعل عبر الزواج وسع الله عليه. المسألة ليست حالة غيبية فقط، وإنما الزواج يدفع الشاب للإنتاج، والعمل والكدح.

٥. في الحالة الاجتماعية وفي الأعراف الاجتماعية أصبح الزواج ناحية مكتملة لشخصية الإنسان، رجلاً أو امرأة، بمعنى أن الشاب قبل أن

يتزوج يشعر أن شخصيته لم تكتمل بعد، والمجتمعات أيضًا يتعامل معه على أساس أن شخصيته لم تكتمل بعد. ولذلك إذا قرأنا تاريخ الحضارات والأمم السابقة نجد أن الكثير من الأمم والمجتمع كانت لها تشريعات وأعراف وتقاليد تؤيد قدسية ومكانة الزواج في المجتمعات. ينقلون عن المجتمع الصيني القديم أنهم كانوا يعتبرون الزواج مكملًا لشخصية الإنسان، حتى إنهم في كل سنة وفي مواسم معينة عندهم طقوس وعادات لعقد الزواج بين أرواح الميتين من الرجال - بدون زواج - والميتات من النساء - بدون زواج - فترتاح العائلة لأن روح المرحوم لم تبق بدون زوجة، وكذلك روح المرحومة لم تبق بدون زوج.

وينقلون - أيضًا - أنه في دولة أسباطا القديمة كانوا يعتبرون عدم الزواج (العزوبة) - بعد بلوغ السن القانوني - نوعًا من الجريمة. وينقلون عن مجتمع فارس القديم - أيضًا - أنهم سنّوا قانونًا للزواج الإجمالي، في كل سنة تجمع الدولة الشباب والشابات الذين بلغوا سن الزواج ولم يتزوجوا بعد، وتجبرهم على الزواج، إما هم يختارون لأنفسهم أزواجًا أو يكون هذا الأمر عبر لجان معينة، ومخصصة لذلك، وهذه المسألة تشبه تمامًا عملية التجنيد الإجمالي عند بعض الدول. إذًا كل ذلك يبين أن المجتمعات البشرية فطريًا وعرفيًا واجتماعيًا تعتبر الزواج مكملًا لشخصية الإنسان، رجلاً أو امرأة. والتشريعات الإسلامية تعترّ هذه الحالة وهذه المشاعر، هناك روايات كثيرة تبين أن الإنسان المتزوج أفضل من الإنسان العازب، «شراركم عزابكم»،

«شرار موتاكم العزاب»^(١)، «ركعتان يصليهما المتزوج أفضل من سبعين ركعة يصليهما أعزب»^(٢). هذه النصوص كلها تؤكد أن الزواج مكمل لشخصية الإنسان، ومنضج لشخصيته. وهذا يفهم بشكلٍ طبيعي لأن الإنسان حينما يتزوج تكون غرائزه وشهوته قد صبت في القنوات الطبيعية، بينما إذا لم يكن متزوجاً من المحتمل أن يسلك بغرائزه وشهوته طريقاً منحرفاً. فالزواج استقرارٌ نفسي، والإنسان إذا لم يتزوج لن يكون لديه ذلك الاستقرار. والزواج دافع للعمل والإنتاج لأن الشاب الأعزب لا يملك تلك الدافعية نحو العمل والإنتاج.

مسؤولية المجتمع

العنوسة: لغة: من عنست الجارية، إذا بقيت في بيت أهلها بعد إدراكها سن الزواج ولم تتزوج.

اجتماعياً: الفتاة حينما تتعدى السن المتداول للزواج ولم تتزوج يطلق عليها عانس، وهذا المصطلح يطلق أيضاً على الرجل، ولكن اصطلاح على أن يطلق على المرأة التي يتأخر زواجها بأنها عانس، ويطلق على الرجل الذي يتأخر زواجه بأنه عازب.

والمجتمع يتحمل حالة العنوسة في المجتمع في صفوف الفتيات، أو تأخر الزواج في صفوف الشباب، وبالتالي يتحمل الأخطاء والمضاعفات

(١) بحار الأنوار. ج ١٠٠، ص ٢٢٠.

(٢) الكافي. ج ٥ ص ٣٢٨.

التي قد تنتج عنها.

ماذا ينتج عن وجود حالة العنوسة عند الفتيات أو تأخر الزواج عند الشباب في المجتمع؟

١. المعاناة النفسية التي تحصل للشباب أو الشابة حينما يتأخر زواجهما أو زواج أحدهما. لأنهما بشر ومن حقهما أن يتمتعا بحياتهما كما يتمتع بها الآخرون، ومن حقهما أن يمارسا حياتهما الطبيعية كباقي المجتمع، فإذا حرما من هذا الحق فإنه ينتج عن ذلك معاناة نفسية خطيرة، وينبغي على المجتمع الواعي أن يشعر بهذه المعاناة، وأن يتحسسها. لأن هذه المشكلة ليست فردية، فإذا كان لدينا حالة إنسانية، وضمير ووجدان ديني، ينبغي أن نعيش ألم الولد الذي تأخر زواجه، وهذه البنت التي تأخر زواجها.

٢. قد يسبب هذا الأمر وجود بعض المفاسد والجرائم، لأن الإنسان إذا لم يجد القنوات المشروعة لممارسة غرائزه وشهواته، فقد يغريه الشيطان بسلوك الطرق الملتوية والفاصلة.

٣. وجود حالة العنوسة وتأخر الزواج في المجتمع، يضعف مسألة التنمية الاجتماعية والاقتصادية، والحالة النفسية في المجتمع. لذلك ينبغي أن يتحمل المجتمع كله مسؤولية هذه الظاهرة.

طبعًا لسنا بصدد الحديث عن كل أسباب العنوسة في المجتمع، ولكن نشير إلى أهم وأغلب الأسباب التي تنشأ منها العنوسة في المجتمع، هي:

١. عدم تيسير عملية الزواج. المفروض أن تكون شؤون الزواج ميسرة في

المجتمع. كنت أتحدث مع أحد المشايخ وهو يتحدث لي عن شخص يريد أن يطلق زوجته فقلت له: انظر إلى وضع مجتمعنا إذا أراد المرء الزواج فإنه يشترك الكثير في قرار زواجه: أهله وأقرباؤه والفتاة - التي يريد الزواج منها - وأهلها وأقرباؤها كذلك، فنجد أن أطرافاً عديدة تدخل في قرار الزواج، أما الطلاق فهو بيد الزوج وحده. وكقاعدة أساس نقول: كلما أصبح شأن الزواج ميسراً، قلّت هذه الظاهرة (ظاهرة العنوسة وتأخر الزواج).

ارتباط التعليم بالزواج

نلاحظ هناك ارتباطاً وثيقاً بين الزواج والتعليم، فتطور متطلبات التعليم أدت إلى تأخر الزواج، سابقاً كان الولد وكانت البنت، وكانت طبيعة الحياة، تكتفي بمرحلة من التعليم، إذا تخرج الطالب أو الطالبة من الابتدائية، ضمن الوظيفة وفرص الحياة، ولكن بعد فترة من الزمن أصبحت شهادة الابتدائية بلا قيمة، من يحصل على شهادة المتوسطة يضمن فرص الحياة، وبعدها بفترة زمنية أصبحت شهادة المتوسطة بلا قيمة، من يحصل على شهادة الثانوية يضمن فرص الحياة، وحالياً شهادة الثانوية ليس لها قيمة لا بد من إنهاء المرحلة الجامعية، التي تأخذ من العمر أربع سنوات فما فوق، وبعد المرحلة الجامعية يأتي دور البحث عن الوظيفة، لأنه ليس كل من أنهى الجامعة ضمن الوظيفة مباشرةً، وبالتالي لا يستطيع الشاب والفتاة التهيؤ مادياً ونفسياً للزواج إلا بعد قطع مشوار طويل من العمر، تقريباً بين (٢٤) إلى (٢٦) سنة.

وهناك أمورٌ أخرى أدت إلى تأخر الزواج، من جملتها:

١. بعض الشباب يتشددون في اختيار شريكة الحياة، وكذلك الحال بالنسبة للفتيات. نعم الاختيار مطلوب ولكن ضمن مقاييس معقولة ومبدئية: «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير».

٢. مواقف الأهالي، في بعض الأحيان يكونون عقبة في طريق الزواج، ومن أمثلة ذلك طرح مسألة الطبقة، إذ إنه من المفترض أن نتجاوزها ونتخذ من أئمتنا خير قدوة وأسوة لنا، فإننا نجد أن بعض أئمتنا تزوجوا من إماء.

٣. إحاطة الزوج بأعراف وتقاليد أصبحت عائقاً كبيراً وسدّاً منعيّاً أمام الشباب. بدءاً من حفلة الخطوبة وتكاليفها، وغلاء المهور، وتكاليف ليلة الزفاف بالنسبة للولد وكذلك البنت. ونلاحظ أن الكل منزعج من هذه الناحية، ولكن - مع الأسف - الكل يخضع لهذه التقاليد وهذه الأعراف. ولا حل تجاه ذلك إلاّ الجرأة والشجاعة، بأن يصر بعض الشباب والشابات على أن يتزوجوا زواجاً مبسطاً من دون تكلفة.

علينا أن نيسّر شأن الزواج ليتمكن الشباب من الزواج في سن مبكر. ولي رأيي شخصي: أن الزواج حتى في مرحلة الدراسة جيد ومناسب، بخلاف ما يُعتقد أن الشاب حينما يدرس في الجامعة ويتزوج يفشل في دراسته، هذا الأمر خطأ، بل على العكس من ذلك تماماً فإن الشاب حينما يكون متزوجاً يكون أهدأ نفسياً، ويكون إقباله على الدراسة أكثر تركيزاً وأكثر ارتياحاً.

وملاحظة أخرى: فترة الدراسة الجامعية حينما يكون عمر الولد (١٨)

سنة، يعني أنه في أوج نشاطه وقوته واندفاعه الغريزي، فلماذا تفوت هذه السنوات على الولد والبنت من دون زواج. فينبغي أن نوفق بين وتيرة الحياة ومسألة الزواج، عبر التسهيل والتيسير في هذا الموضوع.

أحد العلماء لديه كلامٌ جميل حول مشكلة الطالبات الجامعيات والطلاب الجامعيين، يقول: ليس ضرورة أن يقترن الزواج بتحمل مسؤولية إنشاء بيت وعائلة، فلتكن الفتاة لا تزال في بيت أهلها، وليكن الشاب لا يزال في بيت أهله، والى جانب ذلك بينهما عقد زواج، وفرصة للتلاقي، وعلينا أن ننشئ أعرافاً مناسبة في هذا المجال.

وختاماً

ينبغي أن تكون هناك جهات في المجتمع تشجع عملية الزواج، وتساعد على إنجاز هذه العملية. هناك روايات كثيرة تؤكد أهمية هذه المسألة، قال رسول الله ﷺ: «من سعى في زواج أخيه المؤمن كان له بكل خطوة يخطوها وبكل كلمة يقولها في ذلك عمل سنة كاملة قيام ليلها وصيام نهارها». وهذا يلفت نظرنا أن الشرع المقدس يولي الخدمة الاجتماعية والإنسانية اهتماماً أكثر من القضايا العبادية، لأنها حالة فردية بين الإنسان وربه بينما السعي في زواج إنسان يعني سعي في بناء صرح أسرة، سعي من أجل تحصين شخصين في المجتمع. وفي رواية أخرى: «من مشى بشفاعة بين شخصين للزواج بينهما كان ممن ينظر الله إليه يوم القيامة» يلقي نظرة رحمة من الله سبحانه وتعالى.

نحتاج في مجتمعاتنا إلى لجان تقوم بهذا الدور. بأن ينبري أشخاص متزنون للتصدي لمثل هذه المسائل، لأن التعاطي مع أعراض الناس بحاجة

إلى مثل هذه الشخصيات. وهنا أدعو الشباب المتدينين وأقول لهم: إن التدين لا يقوم فقط عبر الصلاة والعزاء، والعمرة والزيارة، هذه كلها لها مكانتها وقيمتها، ولكن ينبغي أن نهتم بالجوانب الاجتماعية، بتكوين لجان تضم الشباب الواعين المترنين، ويسعون في هذا الجانب، ففيه الثواب الكبير.



المحتويات

٥	مقدمة
٩	العائلة وتحديات العصر
١٥	اختيار الزوج بين الفتاة وأهلها
١٧	المرأة الثيب
١٧	الفتاة البكر
١٨	حكمة إذن الولي
٢٠	سوء استخدام الحق
٢٥	الزواج بين التعاليم والتقاليد
٢٧	بين مسؤولية الفرد والمجتمع
٢٩	الإعفاف
٣٠	دور الحقوق الشرعية
٣١	الصندوق الخيري للزواج
٣٢	أحاديث عن التزويج

٣٢	مراسيم الزواج
٣٥	تتعرف قدر زوجاتنا
٣٧	المعاشرة بالمعروف
٣٨	ما هو المعروف؟
٣٩	استيعاب الخطأ
٤٣	العنف الأسري
٤٥	العنف الأسري أسوأ أنواع العدوان
٤٦	أسباب العنف ضمن الأسرة
٥١	العنوسة ومسؤولية المجتمع
٥٣	الدين الإسلامي والزواج
٥٦	مسؤولية المجتمع
٥٨	ارتباط التعليم بالزواج
٦٠	وختاماً
٦٣	المحتويات